Dirasat: Human and Social Sciences, Volume 50, No. 3, 2023

Deanship of Scientific Research

Verb “kana

Ibraheem Abughalia *

Arabic Department, ALQuds University, Jerusalem.

Received: 15/2/2020
Revised: 11/2/2021
Accepted: 17/5/2021
Published: 30/5/2023

* *Corresponding author:*
casa.netc@gmail.com

Citation: Abughalia, I. (2023). Verb “kana. *Dirasat: Human and Social Sciences*, *50*(3), 1–10.
https://doi.org/10.35516/hum.v50i3.5379

Abstract

This study addresses the verb “kana” in its confirmed form and it was not limited to what the grammarians mentioned in a few specific cases when “kana” is prefixed. It took a lot of effort from the grammarians to look into the permissibility of the prefix “kana” to work in the sentence, which makes them not study the confirmation connotation of “kana” in places other than what they have mentioned.

Objectives: Establishing the origins of the confirmation connotation of “kana” and affirming its meaning in the sentence through different evidence, as well as demonstrating the different forms in which “Kana” can occur in its confirmative form.

Methods: The researcher followed the descriptive analytical approach as he described the confirmed “Kana” by mentioning its occurrence in Quranic verses and in Arabic poetry. He analyzed the phenomenon of “Kana” and comprehended its confirmative form.

Results: In the cases where “Kana” can be discarded from the sentence and it still has a clear and correct meaning, its purpose is to confirm and it shouldn’t be restricted as a prefix to only the occurrences that were mentioned by the grammarians. “Kana” can be a confirmative prefix in different forms: Past “Kana” which confirms the past form of the verb; present “Yakoon” which confirms the past form of the verb; present “YAkoon” that confirms the present form of the verb; past “Kana” which confirms the noun; and present “YAkoon” which confirms the noun.

Conclusions: In this research, it was found that in many cases, “kana” comes confirmative in different cases. The researcher has cited many texts from the Holy Quran and Arabic poetry. The researcher has also put a condition on “kana” as a prefix. The condition is if the meaning is clear and correct without “kana” and did not change its general connotation; “kana” comes confirmative, and it may have other connotations than the confirmation generated by the context.

Keywords: Kana, is prefixed, mentioned.

الفعل كان مؤكدًا

إبراهيم أبو غالية *

دائرة اللغة العربية، جامعة القدس، القدس، فلسطين.

ملخّص

تتناول هذه الدراسة "كان" مؤكدة؛ ولم تقتصر على ما ذكره النحاة من مواضع محددة وقليلة تكون فيها "كان" مزيدة. وقد استغرق كثيرًا من جهد النحاة البحثُ في جواز إعمال "كان" الزائدة؛ وهذا أبعدهم عن البحث في دلالة التوكيد في "كان" في غير الحالات التي ذكروها.

الأهداف: تأصيل دلالة التوكيد لدى "كان"، وإثبات وقوعها من خلال الشواهد المختلفة، وبيان الأساليب التي ترد فيها "كان" مؤكدة.

المنهجية: اتبع الباحث في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي؛ فوصف ظاهرة "كان" المؤكدة من خلال ما وردت فيه من شواهد قرآنية وشعرية، ثم قام بتحليل هذه الظاهرة، والوقوف على مجيء "كان" مؤكدة.

النتائج: حيثما أمكن الاستغناء عن "كان" مع استقامة المعنى فالغرض منها هو التوكيد، ولا ينبغي الاقتصار في زيادتها على المواضع التي ذكرها النحاة، وتأتي "كان" مؤكدة في صور منها: كان الماضية مؤكدة للفعل الماضي، ويكون المضارعة مؤكدة للفعل الماضي، ويكون المضارعة مؤكدة للفعل المضارع، وكان الماضية مؤكدة للاسم، ويكون المضارعة مؤكدة للاسم.

الخلاصة: من خلال هذا البحث تبين أنّ "كان" تأتي مؤكدة في حالات كثيرة، من خلال شواهد القرآن الكريم، والشعر العربي. والضابط في مجيء "كان" زائدة مؤكدة، هو حيثما صحّ المعنى دونها ولم تتغير دلالته العامّة؛ فهي مؤكدة، وقد تفيد معاني أخرى غير التوكيد تتولد من خلال السياق.

الكلمات الدالة: كان، مؤكداً، الزائدة.

© 2023 DSR Publishers/ The University of Jordan.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإنّ هذا البحث يتناول "كان" مؤكدة، متجاوزًا ما اقتصر فيه النحاة على توكيد "كان" في مواضع قليلة، وحالات معدودة لا تشكل ظاهرة لغوية تنتشر في مساحات لغوية أرحب، واعتمدوا في ذلك على شواهد قليلة أو نادرة، وحدّدوا لها مواضع وشروطًا لا تخرج عنها، وأطالوا كثيرًا في بحث إعمالها وعدم إعمالها، ولم يلتفتوا إلى دلالتها إلا قليلًا، كما أنّ اشتراطهم عدم إعمال "كان" الزائدة جعلهم لا يبحثون في دلالة التوكيد لكان في غير المواضع التي حددوها، وحرمهم ذلك من البحث عن دلالة التوكيد لكان بصورة عامة.

وقد وجدت أن سيبويه يثبت هذه الدلالة، ولكن الذين جاءوا بعده شرعوا في تحديد مواضع التوكيد. وتبين لي من خلال البحث أنّ "كان" تأتي مؤكدة في أحوالها المختلفة، وقد وضعت لهذه الدلالة ضابطًا، وهو أنّه حيثما أمكن الاستغناء عن "كان" مع بقاء صحة المعنى العامّ والإجماليّ واستقامته، من حيث الدلالة على الحدث والزمن، فهذا يعني أنّ ورود "كان" يضيف معنى جديدًا وهو التوكيد، كأنْ نخاطب مقصرا في واجبه؛ فتقول: لقد كنت حذرتك من التقصير في واجبك، فلم تسمع لقولي، وها أنت ذا تحصد نتيجة تقصيرك. فلو نزع الفعل" كنت" من موضعه تصبح الجملة: لقد حذرتك من التقصير، فالفعل"حذرتك" بقيت دلالته من حيث المعنى والزمن الماضي كما هي، ولم تتغير، وإضافة الفعل" كنت" لم يفد غير التوكيد.

منهج البحث: اتّبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي والتحليلي، إذ تتبعت موارد كان في القرآن الكريم والشعر العربي الفصيح، حتى تجمع لدي جملة من النصوص اللغوية التي وردت فيها "كان" مؤكدة؛ فقمت بتصنيفها من حيث الأسلوب، ثم أبرزت دلالة التوكيد فيها مستشهدًا ببعض الأمثلة؛ إذ يصعب إيراد كل ما تيسر لي في هذا البحث المختصر.

صعوبات البحث:

في حدود اطلاعي المتواضع لم أجد من أصّل هذا التأصيل للفعل "كان" مؤكدا ، وأكثر الاستشهاد لها من القرآن والشعر. والدراسات التي تتناول "كان" الزائدة أغلبها ترديد لما قاله النحاة من حيث زيادة "كان"، وحكم عملها، وهذا دفعني لأن أعتمد على نفسي تأصيلًا للفكرة وتدليلًا عليها واستشهادًا لها.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى عدّة مباحث:

الأول:.تأصيل دلالة التوكيد للفعل "كان".

ويشمل مطلبين:

المطلب الأول: آراء النحاة في دلالة "كان" على التوكيد.

المطلب الثاني: تأصيل دلالة التوكيد لدى "كان".

المبحث الثاني: الأساليب التي وردت فيها " كان" مؤكدة.

ويشمل خمسة مطالب:

المطلب الأول: توكيد الفعل الماضي بكان ماضيةً.

المطلب الثاني: توكيد الماضي بيكون مضارعةً.

المطلب الثالث: توكيد المضارع بيكون مضارعةً.

المطلب الرابع: توكيد الاسم بكان ماضيةً.

المطلب الخامس: توكيد الاسم بكان مضارعةً.

المبحث الأول: تأصيل دلالة التوكيد للفعل "كان":

المطلب لأول: آراء النحاة في دلالة "كان" على التوكيد:

يلاحظ أنّ سيبويه يكثر من استعمال لفظي الإلغاء أو اللغو أحيانا، والزيادة للتوكيد، ومن خلال تتبع مدلولهما في الكتاب يظهر أنه يقصد بهما أحيانا مدلولا واحد، وأحيانا أخرى يختلف المدلول لكل منهما، والأغلب أنّ مدلول الإلغاء أعمّ عنده من الزائد للتوكيد، ويأتي عنده للمعاني الآتية:

1- إبطال العمل مع بقاء الدلالة، كإبطال عمل إذن الناصبة دون دلالتها؛ كقوله: "واعلم أنّ إذن إذا كانت بين الفعل وبين شيء الفعلُ معتمد عليه؛ فإنّها ملغاة لا تنصب البتة"(سيبويه، 3،14/1988).

وقوله: "فإن ألغيت قلت: عبدالله أظنّ ذاهب" (سيبويه،1988، 119/1)، فالفعل "أظن" ألغي عمله مع أنّ دلالته لم تلغَ.

وقوله:" واعلم أنّ المصدرَ قد يُلغى كما يلغى الفعلُ، وذلك قولك: "متى زيد ظنُّك ذاهب"(سيبويه،1988 ،124/1). وقوله: " ومن ذلك أيضا: والله إذن لا أفعلُ، من قِبَل أنّ أفعل معتمد اليمين، وإذن لغو"(سيبويه، 1988، 14/3)، وهنا عبر عن الإلغاء بكلمة: لغو.

2- إبطال الدلالة والعمل؛ كقوله: "وأمّا قول جرير:

3- ما بالُ جهلِك بعدَ الحلمِ والدينِ وقد علاك مشيبٌ حين لا حينِ. فإنّما هو حينَ حينٍ، ولا بمنزلة ما إذا ألغيت"(سيبويه،1988، 305/2). فالحرف" لا" النافي للجنس لم يعمل في "حين"، وكذلك ألغيت دلالته على النفي، فهو في حكم المطّرح، في رأي سيبويه.

3-إبطال الدلالة، وتكون الفائدة من مجيء الكلمة هو التوكيد؛ وهو يصرح هنا بالزيادة للتوكيد؛ كقوله: " وأمّا "ما" فهي نفي... وتكون توكيدًا لغوًا، وذلك قولك: متى ما تأتِ آتِك، وقولك: غضبت من غير ما جرمٍ، وقال الله عز وجل: فبما نقضِهم ميثاقَهم، وهي لغو في أنّها لم تحدث-إذ جاءت-شيئًا لم يكن قبلَ أن تجيءَ من العمل، وهي توكيدٌ للكلام"(سيبويه، 1988، 221/4).

وقال:" وأمّا "لا" فتكون كما في التوكيد واللغو، قال الله عز وجل: "لئلا يعلم أهل الكتاب، أي لأن يعلم"(سيبويه، 1988، 222/4)،

وقال:" وقد تلغى"إنْ" مع "ما" إذا كانت اسما وكانت حينا:

ورج الفتى للخير ما إن رأيته على السنّ خيرا لا يزال يزيد"(سيبويه،1988، 222/4).

وقد خص سيبويه التوكيد بمزية، وهي استقامة المعنى مع إضافة دلالة التوكيد؛ فقال: " وأمّا "من" فتكون لابتداء الغاية... وقد تدخل في موضع لو لم تدخل فيه كان الكلام مستقيمًا، ولكنها توكيد بمنزلة "ما" إلا أنّها تجرّ؛ لأنّها حرف إضافة، وذلك قولك: ما أتاني من رجل، وما رأيت من أحد"(سيبويه، 1988، 225/4).

وقد ذكر سيبويه في كتابه أنّ "كان" قد تأتي ملغاة، فقال : "وقال الخليل: إنّ من أفضلهم كان زيدًا، على إلغاء "كان" وشبهه بقول الشاعر وهو الفرزدق(سيبويه، 1988، 153/2):

فكيف إذا رأيت ديارَقومٍ وجيرانٍ لنا كانوا كرامٍ".

وقد فسّر السيرافي شارحُ سيبويهِ الإلغاءَ هنا بالزيادة، فقال: "كأنّه قال: إنّ من أفضلِهم زيدًا كان، أي كان ذلك، وإنما قيل زائدة أنّها ليس لها اسم ولا خبر في الكلام المذكور"(السيرافي،2008، 479/2). وقال في بيان نوع "كان" الواردة في بيت الفرزدق: " والأظهر كلام الخليل، و"لنا" من صلة جيران، و"كانوا" دخولُها غير مغيّر للكلام؛ كأنه قال: وجيران لنا كرام، وأدخل "كانوا" وجعل فيها ضمير الجيران؛ كما يجعل في "كان" الموحدة ضمير ما جرى ذكره في معنى: كان الأمر، وخلق، ولا تدخل شيئًا من الكلام في اسم لها ولا خبر"(السيرافي،2008، 460/2).

وقد ذكر سيبويه "كان" الزائدة في موضع آخر؛ فذكر أنّها تدل على المضيّ، فقال: "وتقول: ما كان أحسن زيدًا، فتذكر "كان" لتدلّ أنّه فيما مضى"(سيبويه، 1988، 73/1).

ويستخلص من سياق كلام سيبويه أنّه يقصد بكان الملغاة التي يستقيم الكلام بدونها وتحمل معنى التوكيد، ويترجّح هذا الأمر لسببين: الأول: أنّه ذكر الإلغاء في الموضع الأول دون أن يذكر دلالته على المضيّ، جاء في شرح التصريح: "وقال بعضهم: لا يعني الخليلُ وسيبويهِ ما فهمه النحويون، إنّما أراد بالزيادة أنّه لو لم تدخل هذه الجملة بين "جيران" و"كرام" لفُهم أنّ هؤلاء القوم كانوا جيرانَه فيما مضى، وأنّه فارقهم، فالجيرة كانت في الزمن الماضي فجيء بقوله: كانوا لنا؛ لتأكيد ما فُهم من المعنى قبل دخولها؛ فأطلق الخليل الزيادة بهذا المعنى"(الازهري،2000، 253/1).

الثاني: إنّ الموضع الثاني الذي ذكر فيه بيت الفرزدق؛ فإن سياق البيت والذي قبله يدلّ على الزمن الماضي(الفرزدق،1984، 290/2):

أَلَســـتُم عـــائِجينَ بِنـــا لَعَنّـــا نَـــرى العَرَصـــاتِ أَو أَثَـــرَ الخِيـــامِ

فَقـــالوا إِن فَعَلـــتَ فَـــأَغنِ عَنّـــا دُموعًـــا غَيـــرَ اقِيَـــةِ السِـــجامِ

فَكَيـــفَ إِذا رَأَيـــتُ دِيـــارَقَـــومي وَجيـــرانٍ لَنـــا كـــانوا كِـــرامِ

وبما أنّ الزمن هنا في سياق المضي، فيبدو أن سيبويهِ قد قصد هنا أنّ الإلغاء بمعنى التوكيد.

والذي يظهر هنا أيضًا أنّ سيبويه لم يشترط أن تكون "كان" الملغاة غير عاملة، وإنّما رأى فقط إمكان استغناء الكلام عنها مع إفادة دلالة التوكيد؛ لذا فإنّ النحاة الذي جاءوا بعد سيبويه قد اضطربوا في العلاقة بين إعمال "كان"، ودلالة التوكيد؛ فعندما قالوا إنّها زائدة قرّروا أنّها غير عاملة، وهذا

ناتج عن فهمهم للإلغاء عند سيبويه، وهو عدم الإعمال. وها هو المبرّد ينكر قول من قال بزيادة كان للتوكيد في بيت الفرزدق السابق بحجّة أنّ "كان" عاملة؛ لأن تقدير الكلام عنده: وجيران كرام كانوا لنا، وكذلك يقرّرُ أنّ "كان" زائدة للتوكيد في قوله تعالى: **"قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا"**؛ لأنّ "كان" عنده غير عاملة، ونصب "صبيًا" على الحال(المبرد،4،1999/117).

بينما ينقل عنه الزجاج قوله بأنّ كان مؤكدة مع إعمالها في قوله تعالى: "إنّه كان فاحشة ومقتًا وساء سبيلا" (النساء، 22)؛ فقال:" وقال أبو العباس محمد بن يزيد: جائز أن تكون "كان" زائدة؛ فالمعنى على هذا: إنّه فاحشة ومقت"(الزجاج،2،1988/32).

ورد عليه الزجاج بقوله: "هذا غلط من أبي العباس؛ لأنّ "كان" لو كانت زائدة لم تنصب خبرها، والدليل على هذا البيت الذي أنشده: وجيران لنا كانوا كرام، ولم يقل كراماً"(الزجاج، 1988، 33/2).

ويُظهر هذا النقلُ عن المبرّد اضطرابَ العلاقة في ذهنه بين إعمال "كان" والحكم بزيادتها. وأيضًا فإنّه يعدّ "كان" زائدة مؤكدة سواء أكانت العبارة قبل إدخال "كان" دالة على الحضور أم لا؛ فقد استشهد بقول العرب: ولدت فاطمة بنت الخرشبّ الكملة من بني عبس لم يوجد كان مثلهم، والعبارة في الأصل تفيد الزمن الماضي(المبرد، 1999، 116/4). وكذلك عند استشهاده على زيادة "كان" في الزمن الحاضر فقد استشهد بقوله تعالى: "كيف نكلم من كان في المهد صبيا"، وقال: إنّ تقدير الآية كيف نكلم من هو في المهد صبيا(المبرد، 1999، 117/4).

ذكر ابن السراج موضوع الإلغاء، وبين أنّ الملغى لا يكون عاملًا ولا معمولًا(ابن السراج،1988، 259/2). وقد وضّح أنّ الإلغاء يأتي للتوكيد أو التبيين فقال: "وإنّما يأتي ما يلغى من الكلام تأكيدًا أو تبيينًا"(ابن السراج،1988، 257/2). ثم مثل لكان التي للتبيين فقال: " ولكن الملغى نحو "كان" في قولك: ما كان أحسن زيدًا، الكلام: ما أحسن زيدًا، و"كان" إنّما جيء بها لتبين أنّ ذلك كان فيما مضى"(ابن السراج،1988، 259/2). ومثل على المؤكدة بقوله " أن تكون توكيدًا زائدة نحو قولك: زيد كان منطلق، إنّما معناه: زيد منطلق"(ابن السراج،1988، 92/1) ومع أنّ ابن السراج يميز بين "كان" المؤكدة والمبينة فلا يظهر من خلال ما أورده من أمثلة وجه التفريق بينهما، ولكن يظهر أنّه يجعل المبينة دالة على الزمن الماضي، بينما المؤكدة تفيد التوكيد فقط دون أن تدل على المضيّ.

وقد ذكر الرضيّ "كان" الزائدة، وجعلها على نوعين، الأول: زائدة لا تفيد شيئًا إلا محض التوكيد، وهي عنده غير مفيدة للزمن الماضي، وقال:" اعلم أنّ "كان" تزاد غير مفيدة إلا محض التأكيد، وهذا معنى زيادة الكلمة في كلام العرب"(رضي الدين،1966، ص1034).

"والثانية: "كان" المفيدة للماضي التي لا تعمل، وسماها بالمجردة عن الحدث المطلق"(رضي الدين، 1966، ص1036).

ويفهم من كلام الرضيّ أنّه يجعل "كان" الزائدة لا علاقة لها بالزمن مطلقًا، فهي تفيد مجرد التوكيد كأيّ أداة أخرى من أدوات التوكيد، ولم يبين ما الذي أكدته "كان" الزائدة.

أمّا الثانية عنده فهي تدل على الزمن الماضي فقط، وانتفت دلالتها على الحدث المطلق أو العام لاستغنائها عن الاسم والخبر.

وقد ذكر النحاة مواضع زيادة "كان"؛ فذكر بعضهم لها موضعًا عامًا؛ كابن مالك فقال إنّها تقع في حشو: وقد تزاد كان في حشو(الاشموني،1،1998/241) ؛ وابن عصفور فقال إنّها تقع بين الشيئين المتلازمين(ابن عصفور،1998، ص8) ، وذكروا بعض هذه المواضع، وذكر بعضهم مواضع لزيادتها، كأن تزاد بين المسند والمسند إليه، وبين المتعاطفين، وبين الصفة والموصوف، وبين حرف الجرّ والمجرور، وبين الصلة والموصول، وبين "ما" وفعل التعجب (ابو حيان،د.ت،212/2؛ ابن عقيل،1980، 207/1). وذكر بعضهم أنّها تزاد آخرًا(السيوطي، د.ت،438/1).

تأصيل دلالة التوكيد لدى "كان":

من خلال ما ذُكر من آراء عن "كان" الزائدة يتضح أمران:

الأول: إنّ النحاة قد أطنبوا في حديثهم عن "كان" الزائدة من حيث شروطها ومواضعها، وإعمالها على حساب البحث عن دلالتها وأهميتها في التركيب اللغوي، واقتصروا على شواهد محدودة يقل استعمالها عند أهل اللغة، ولا تشكل ظاهرة لغوية يستحق الوقوف عندها كثيرًا، وعندما وجدوا أنّها قد تأتي عاملة في بعض الأمثلة تأولوا لها تأويلات متكلفة.

الثاني: ذكر كثير من النحاة دلالة التوكيد في "كان" الزائدة، ويُفهم هذا من كلام سيبويه، وقد صرح بذكرها المبرد وابن السراج والرضيّ وغيرهم.

الثالث: عندما ذكر كثير من النحاة دلالة التوكيد رديفة لكان الزائدة دون غيرها من أقسام "كان"، و"كان" الزائدة عندهم غير عاملة؛ فإنّ هذا جعلهم لا يسحبون دلالة التوكيد على أقسام "كان" الأخرى.

والذي أراه أنّ "كان" تأتي مؤكدة؛ على أي حال من أحوالها: زائدة أو ناقصة أو تامّة، إذ كانت مؤكدة لمعنى يفهم من الجملة؛ فلا يكون لها دلالة غير التوكيد.

المبحث الثاني: الأساليب التي وردت فيها "كان" مؤكدة":

المطلب الأول: توكيد الفعل الماضي بكان ماضيةً:

وردت "كان" الماضية مشفوعة بفعل ماضٍ خبرًا لها في أحدَ عشرَ موضعًا في القرآن الكريم، "و"كان" يمكن حذفها ويبقى المعنى صحيحًا؛ لأنّ "كان" تفيد عموم الحدث في الزمن الماضي؛ فيكون الفعل الماضي بعدها تخصيصًا للحدث العامّ في الزمن الماضي، ولا مرية أنّ هذا الأسلوب فيه تكرير للزمن، إذ إنّ كلا الفعلين ماضٍ، وكذلك فيه تكرير للحدث؛ فهو قد ذكر مرتين؛ مرة عامًّا، ومرة معيّنًا. ويشبه هذا النمط التعبيريّ أسلوب عطف الخاص على العام، " وفائدته التنبيه على فضله، حتى كأنّه ليس من جنس العامّ، تنزيلًا للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات...كأنّه جُرّد من الجملة وأفرد تفصيلًا، ومن أمثلته: "**حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى**"(السيوطي، 1988، 271/1).

جاء في شرح الرضيّ: "وممّا قال بعضهم أنّها سميت ناقصة؛ لأنّها تدلّ على الزمان دون المصدر، ليس بشيء لأنّ "كان" في نحو: كان زيد قائمًا، يدلّ على الكون الذي هو الحصول المطلق، وخبره يدل على الكون المخصوص، وهو كون القيام، أي حصوله، فجيء أولًا بلفظ دال على حصول ما ثُمّ عُيّن بالخبر ذلك الحاصل؛ فكأنك قلت: حصل شيء، ثم قلت: حصل القيام، فالفائدة في إيراد مطلق الحصول أولًا ثمّ تخصيصه، كالفائدة في ضمير الشأن قبل تعيين الشأن"(رضي الدين،1966، ص1023). وهذا هو معنى التوكيد الذي أشرنا إليه.

الذي يفهم من كلام الرضيّ أنّ "كان" تدلّ على مطلق الحدث، ثم يأتي الخبر مقيّدًا ومخصصًا لهذا الإطلاق، ويترتب على ذلك دلالة جملة "كان" على التوكيد، ولكن الحكم العامّ بالتوكيد على جملة "كان" لا ينبغي؛ لأن المؤكِّد يفيد مجرد التوكيد، وحذفه لا يؤثر على المعنى العامّ للجملة.

فلو عُبّر عن المثال الذي ذكره الرضيّ بعدة تعبيرات: قام زيد، زيد قائم، كان زيد قامَ، كان زيد قائمًا؛ فإنّ الجملة الأولى تسند حدث القيام لزيد في الماضي، والثانية تسند لزيد القيام دون ما زمن، والاسم أثبت من الفعل، والثالثة لم تأت بجديد غير توكيد وقوع الحدث في الزمن الماضي، والرابعة: تفيد اتّصاف زيد بالقيام في الزمن الماضي، وهذه الصيغة فيها توكيد، ولكنّه جاء من الاسم الدالّ على الثبوت، وليس من" كان"؛ لأنّه لا يمكن التعبير عن الاتّصاف بصفة القيام الدالّ على الثبوت في الزمن الماضي إلا بهذه الصيغة: كان زيد قائمًا، ولو حذفت "كان" لانتفى حصول الفعل في الزمن الماضي.

أمّا إذا كان التعبير يفيد المضيّ دون "كان"؛ فأرى أنّه يفيد التوكيد. ومن الشواهد القرآنية على هذا الأسلوب:

1. " ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر، وفجرنا الأرض عيونًا.... جزاء لمن كان كفر" (القمر، 11-14). يلحظ أنّ "كان" دخلت على الفعل الماضي الأخير "كُفِر"، ولم تدخل على الأفعال الماضية التي سبقته، وهي : فتحنا، فجّرنا، التقى، قُدر، حملناه. وقد كان دخولها على الفعل "كُفِر" توكيدًا له إذ هو محور الحديث؛ بينما كلّ الأفعال السابقة هي نتيجة وجزاء كفران دعوة نوح- عليه السلام-.

2. "قد نعلم إنّه ليحزنك الذي يقولون... وإن كان كبر عليك إعراضهم...الآية" سورة الأنعام (33-35). سياق الآية يدور حول طمأنة الرسول – صلى الله عليه وسلم- وإزالة حزنه، وتسليته عمّا أصابه من ضيق وحرج لإعراض المشركين عن دعوته؛ لذا أكد هذا المعنى بكان في قوله: "كان كبر عليك إعراضهم"؛ لأنّ الآية تسير باتجاه معالجة هذا الهمّ والضيق الذي ألمّ بالرسول _عليه السلام_.

3. قال تعالى: "واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول... إن كنتم آمنتم..) سورة الأنفال (41). سياق الكلام يدور حول الإيمان الذي تظهر آثاره على الأقوال والأفعال، وأهمّها الخضوع للأحكام الشرعية، ومنها حكم الأنفال؛ لذا فإنّ فاتحة السورة تأمر المسلمين بطاعة الله ورسوله في الأنفال وغيرها، وجعلتها شرط الايمان، ثم شرعت في ذكر صفات المؤمنين.

وفي هذه الآية ذكرت حكم الأنفال مفصّلًا، وجعلت الإذعان له مترتبًا على الايمان: "إن كنتم آمنتم". ومن هنا جاء الفعل آمن مؤكدًا بالفعل "كنتم" لأهمّيته، وتبيينًا أنّه مقدمة ضرورية للاستجابة للأحكام الشرعية وتطبيقها.

4. "ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار، وكان عهد الله مسؤولا" الاحزاب(15). سياق هذه الآيات يدور حول ما يصدر عن المنافقين من أقوال وأفعال، إمّا تثبيطًا للمؤمنين، وإمّا خوفًا من الموت. وكل تصرفاتهم هذه مناقضة لما عاهدوا اعليه الله لا يولون الأدبار، فهم يقولون: "ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا" الأحزاب (12). ويقولون: " إنّ بيوتنا عورة" الأحزاب (13)، وهم في أفعالهم: "ولو سئلوا الفتنة لآتوها" الأحزاب (14)، وقد يعلم الله المعوقين منكم.... ولا يأتون البأس إلا قليلاً" الأحزاب (18).

وهم: " فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير" الأحزاب (19)، وهم: " وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنّهم بادون في الأعراب يسألون عن أنبائكم" الأحزاب (20).

وقد تأتي "يكون" مضارعة منفية بلم الجازمة، ومن المعلوم عند النّحاة أنّ "لم" حرف نفي وقلب؛ فهي تنفي معنى الفعل الذي تدخل عليه، وتقلب زمنه من الحاضر إلى الماضي، جاء في مغني اللبيب: "لم حرف جزم لنفي المضارع وقلبِه ماضيًا، نحو: لم يلد ولم يولد"(ابن هشام،3،1964/467).

ويمكن التعبير بكان المنفية بعدة أساليب، يظنّ السامع لأول وهلة أنّها تحمل الدلالة نفسها؛ لكن عند التدقيق يتبين أن بينها فروقًا معنوية؛ فتقول: ما كان حفظ، ولم يكن حفظ، ولم يكن يحفظ، ولم يكن حافظا، فالجملة الأولى: ما كان حفِظ، تؤكّد نفيَ حدوث الحفظ، والثانية: لم يكن يحفظ، تنفي

تجدد الحفظ في الماضي؛ لكن هذا لا يمنع أن يقع منه هذا الحدث ولو مرة واحدة، وهي أقلّ توكيدًا من الأولى، والثالثة: لم يكن حافظًا، تنفي أن يكون قد اتصف بالحفظ في الماضي، وهذا لا يمنع أن يكون وقع منه الحفظ مرة، أو تجدد منه الحفظ، لكن لم يصل إلى درجة يوصف بها بأنّه حافظ.

قال تعالى: "هل ينظرون...لم تكن آمنت..." الأنعام (158). هذه الآية تتحدّث عن الوقت الذي لا تقبل فيه توبة العباد ولا إيمانهم، وقد جاء في الحديث: **" لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمن من عليها، فذاك حين: لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل(**البخاري،6،58/1987).

فهذه الآية تدعو إلى الإيمان والتوبة، والمقصود هنا الدعوة إلى الإيمان، ولو أن يتصف بأدنى درجات الإيمان حتى ينجو من عذاب النار؛ لذا كانت هذه الصيغة أنسب من غيرها لدلالتها على أدنى درجات الإيمان، وهو أن يأتي بالفعل الماضي الدال على الحدوث، ولم يأت بالفعل المضارع الدال على التجدّد والاستمرار، ولا بالاسم الدالّ على الثبوت؛ لأنّ هذا الوصف لا يستحقّه من كان في أول مراتب إيمانه.

قال تعالى "**فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلجناح عليكم**" النّساء(23)، هذه الآية تتناول موضوع المُحرّم نكاحهنّ، وهو أمر شدّد فيه الإسلام؛ لأنّه يتعلّق بالأعراض والأنساب ووجوب صيانتها، كما أنّه يعدّ من المقاصد الضرورية الخمس التي يجب الحفاظ عليها. ومن هنا جاء الفعل "دخلتم" مؤكدًا من أجل الاحتياط في هذا الفعل؛ فقال: "**فإن لم تكونوا دخلتم بهن**"، فالشرط هنا أن ينتفي حدوث فعل الدخول بهنّ في أيّ كون من الأكوان السابقة، وهو توكيد لعدم الدخول، ولذلك فإن جمهور الفقهاء يحرمونها بأدنى درجات الدخول: " واتفق مالك والثوري وأبو حنيفة، والأوزاعي والليث على أنّه إذا مسّها بشهوة حرمت عليه أمّها وابنتها، وحرمت على الأب والابن، وهو أحد قولي الشافعي، واختلفوا في النظر، فقال مالك، إذا نظر إلى شعرها أو صدرها أو شيء من محاسنها للذة حرمت عليه أمّها وابنتها"(القرطبي، 1964، 113/5).

وممّا ورد في الشعر العربي من توكيد الفعل الماضي بكان قول الصّلتان العبدي حين اجتمع إليه الفرزدق وجرير للحكم بينهما(ابن قتيبة،1982، 491/1):

سأقضي قضاءً بينهمْ غيرَ جائرٍ فهلْ أنتَ للحكمِ المُبَيّن سامعُ
قضاء امرئٍ لا يتقي الشتمَ منهمُ وليس له في المدح منهمْ منافعُ
قضاء امرئ لا يرتشي في حكومة إذا مال بالقاضي الرشا والمطامع
فإن كنتما حَكّمْتُماني فأنصتا ولا تَجْزَعا، ولْيرضَ بالحقّ قانعُ
فإن ترضيا أو تجزعا لا أُقِلْكما وللحقّ بين الناس راضٍ وجازع

يظهر أنّ الشاعر قد أحسن في توظيف أسلوب الماضي المؤكد بكان في قوله: فإن كنتما حكمتماني، إذ هو يؤكد على أنّهما هما اللذان ارتضياه حكمًا بينهما، ويترتّب على هذه الحقيقة أن يرضيا بالحكم مهما يكن، وأن لا يظهر جزعهما بسببه.

ومنه قول لبيد بن ربيعة(2004، ص83):

غلب الليالي خلْفَ آلِ محرّق وكما فَعَلْنَ بتُبّعٍ وبهرقل
وغَلَبْنَ أبرهة الذي ألفَيْنَه قد كان خلّد فوق غُرفةِ مَوْئِلِ
والحارثُ الحرّابُ خلى عاقلًا دارًا أقام بها ولم يَتنقّل

أكد الشاعر الفعل الماضي "خلّد" "بكان"، وهذا يتناسب والسياق الذي كله حديث عن الأقوام التي كانت خلدت، ثم طواها الدهر تحت كلكله.

يشترط جمهور النّحاة في فعل الشرط أن يكون فعلًا غير ماضي المعنى فلا يجوز: إن قام زيد أمسِ قمت(الازهري، 2000، 404/2)، وقد نقل ابن السراج عن المبرّد أنّه يقول بهذا بخلاف ما إذا كان شرط "إنْ" هو "كان" الماضية الداخلة على فعل ماضٍ، فقال: "قال أبو العباس -رحمه الله-: مما يسأل عنه في هذا الباب قولك: إنْ كنت زرتني أمسِ أكرمتك اليوم، فقد صار ما بعد "إنْ" يقع في معنى الماضي، فيقال للسائل عن هذا: ليس هذا من قبل "إنْ"، ولكن لقوة "كان"، وأنّها أصل أفعال وعبارتها جاز أن تقلب "إن"، فنقول: إنْ كنت أعطيتني فسوف أكافيك، فلا يكون ذلك إلا ماضيًا كقول الله -عز وجل-: إن كنت قلته فقد علمته، والدليل على أنّه كما قلت، وأنّ هذا لقوة "كان" أنّه ليس شيء من الأفعال يقع بعد "إنْ" غير "كان" إلا ومعناه الاستقبال، لا تقول: إن جئتني أمسِ أكرمتك اليوم"(ابن السراج، د.ت،190/2).

ولم يعجب هذا الكلام ابن السراج، فقد ردّ عليه وأوّله، فقال: "فالتأويل عندي لقوله: إنْ كنت زرتني أمسِ أكرمتك اليوم، إنْ تكن كنت ممّن زارني أمسِ أكرمتك اليوم... وكذلك قوله-عزّ وجل-: إنْ كنت قلته فقد علمته، أي: إن أكن كنت، أو: إن أقلْ كنت قلته"(ابن السراج، د.ت،190/2).

وفي الحقيقة إنّ هذا هو الغالب في شرط "إنْ"، لكن ورد في بعض النصوص أنّ شرط "إنْ" بقي ماضيًا كقوله تعالى: "**قل إن افتريته فعلي إجرامي**" سورة هود (35)، وقوله تعالى: "قل **إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئا**" سورة الأحقاف(8).

قال الشهاب: " والشّرط يخلص للاستقبال، فينبغي أنْ يقدّر فيه ما يكون مستقبلًا، فلذا قيل تقديره: إنْ علمتم أنّي افتريته"(الخفاجي، د.ت، 95/5).

يظهر أنّ تمسك النحاة بقاعدتهم في كون "إنْ" لا تدخل على ما كان ماضيَ المعنى وطردها في كلّ الأحوال حملهم على تأويل مثل هذه النصوص، ولو

أنّها وردت القرآن الكريم، وواضح هنا أنّ الجواب مترتب على الافتراء، وليس على العلم، أو على ثبوته. وبما أنّ "كان" الداخلة على الفعل الماضي تفيد التوكيد فإنّها حينئذ أكدت معنى المضيّ فيه بعد أنْ كان شرط "إنْ" مستقبل المعنى؛ قال الرضي: "ثمّ اعلم أنّ "إنْ" يكون شرطها في الأغلب مستقبل المعنى، فإن أردت معنى الماضي جعلت الشرط لفظ كان"(رضي الدين، 1966).

المطلب الثاني: توكيد الماضي بالفعل "يكون " مضارعةً:

وهذا وروده في اللغة قليل إذا قيس إلى الماضي المؤكّد بكان الماضية، وقد ورد منه في القرآن الكريم قوله تعالى: "**أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال**" سورة ابراهيم (44)، وهو يمكن أن يأتي بالاستفهام بالفعل الماضي وحده: أقسمتم، فيقول: أو ما أقسمتم، وإذا أريد توكيده يؤتى بكان قبل الفعل الماضي: أو ما كنتم أقسمتم، ولكن هنا عُدل إلى المضارع، ليشير إلى أنّ الفعل تكرّر منهم أكثر من مرة، بالإضافة إلى دلالة التوكيد، والتوكيد هنا جاء ردًّا على طلبهم في قولهم:" **ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسول**"، وليذكرهم بقسمهم في قولهم: ما لكم من زوال، والمعنى: أنهم باقون في الدنيا لا يزولون بالموت والفناء، وقيل: لا ينتقلون الى دار أخرى(ابوحيان،1420هـ،453/6).

ومما جاء من الشعر بهذا الأسلوب قول متمم بن نويرة(الضبي، د.ت، 267/1):

فلمّا تفرقنا كأنّي ومالكًا لطول اجتماع لم نبت ليلةً معا

وكنّا كندمانَيْ جَذيمة حِقْبَةً من الدهر حتى قيل لن يَتصَدّعا

فإن تكن الأيامُ فرّقن بيننا فقد بان محمودًا أخي حينَ ودّعا أنّ بإمكان الشاعر أن يقول: فإن فرقت الأيام بيننا، ولكنّه عدل عن هذا التعبير إلى أسلوب آخر، فقال: فإنْ تكن الأيامُ فرقْن؛ ليؤكّد على شدة الفرقة وأثرها البالغ الذي لا رجعة فيه، والسياق يؤكّد على هذا الفراق الذي انتهى بالموت بقوله: لطول اجتماع لم نبت معًا، وشبه حاله ومالكًا بندمانيْ جذيمة في اجتماعهم ثم تفرقهم.

ومنه قول النابغة الجعدي(الجعدي، 1998، ص163):

إن يك قد ضاع ما حَمَلْتَ فقد حَمَلْتَ إثمًا كالطود من إضَمِ

أمانةُ اللهِ وهي أعظمُ من هَضبِ شرَوْرى والركنِ من خِيَم

فخنت عهد الإخاء مُبْتَدئًا ولم تَخَفْ من غوائلِ النِّقم

يعاتب الشاعر هنا صديقه الذي خان عهد الإخاء، ويستقبح منه هذا الفعل الشنيع الذي هو في النهاية تضييع لأمانة الله التي هي أعظم من كلّ شيء، وكأنّه يقول: إنْ تأكّد تضييعك هذه الأمانة، فسيكون إثمها عظيمًا كالطود، وأتى بإنْ لإنزال المتحقّق في صورة غير المتحقّق، فكأنّ هذا الفعل لا ينبغي أن يقع من فاعله.

المطلب الثالث: توكيد الفعل المضارع بيكون مضارعةً:

وهو أسلوب يدخل فيه مضارع يكون على مضارع مثله، وهذا التركيب في كثير من الأحيان يفيد التوكيد بالإضافة لدلالات أخرى. وقد تحققت دلالة التوكيد هنا كما تجلّت في أسلوب "كان" الماضية الداخلة على الفعل الماضي، فيمكن هنا كذلك حذف "يكون" مع بقاء المعنى العام صحيحًا؛ لكن دخول "يكون" زاد الفعل توكيدًا. وقد ورد هذا التوكيد في القرآن الكريم، وفي الشعر العربي، وسأذكر بعض الشواهد على سبيل التمثيل.

قال تعالى" وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا" سورة الفرقان (40).

ولو قال: أفلم يروها؛ لكان المعنى العامّ سليمًا، ومن المعلوم أنّ الفعل المضارع يدل على التجدد، ولكن عندما دخلت " يكونوا" على يرونها، وأصبح التركيب " يكونوا يرونها"؛ فإن دلالة التجدد تأكدت، وتمكن فيها معنى الاستمرار، فأصبحت أوضح في الدلالة عليها.

جاء في حاشية الشهاب: " أفلم يكونوا يرونها؛ لأنّ "كان" والمضارع يدل على التجدد والتكرار"(الخفاجي، د.ت،424/6). قال تعالى "إن تكونوا تألمون فإنّهم يألمون كما تألمون" النساء (104). قد يعاني المؤمنون من أعدائهم حينا من الدهر، ويستمر بهم الألم فترة تطول؛ لذا أكّد الفعل المضارع تألمون بالفعل "تكونوا" تأكيدا لدلالة التجدد التي يفيدها المضارع . وقال تعالى " و لم نك نطعم المسكين" (المدثر، 44)، جاءت هذه الآية لتؤكد نفي الإطعام عنهم، فهم لم يطعموا في أيّ من أحوالهم، وكلما تجدّدت الحاجة إلى إطعام المسكين كانوا لا يطعمونهم.

وقال الأعشى (القرشي، د.ت، ص231):

ولقد أَسْتَبي الفتاةَ فتعصي كلَّ واشٍ يريد صَرْمَ حبالي

لم تكنْ قبلَ ذلك تلهو بغيري لا، ولا لَهْوُها حديثُ الرجالِ

ثم أذهَلْتُ عقلَها، ربما يذهل عقلُ الفتاةِ شِبْهِ الهلالِ

يبرز الأعشى هنا قدرته على سبي عقل الفتاة، والولوج إلى قلبها، ويؤكّد تفوقه ذلك بأنّ هذه الفتاة لم تعرف اللهو قبل ذلك، وكان التوكيد بأسلوب "يكون" المضارعة المؤكدة للمضارع في قوله: لم تكن تلهو.

وقال دعبل الخزاعي في رثاء الحسين(البصري،1999، 201/2):

أيقظت أجفانًا وكنت لها كرى و أنمتَ عينا لم تكن بك تهجعُ

فالشاعر هنا يبين شغف النفوس بالحسين، ويؤكد ذلك بالفعل "تكن" الداخل على المضارع "تهجع"، فهو ينفي عنها الهجوع، ويثبت لها الكرى الذي لا يزايلها.

المطلب الرابع: توكيد الاسم بالفعل "كان":

في بعض الأحيان عندما يأتي خبر "كان" الماضية اسمًا، نتساءل، لماذا يعدل عن الجملة الاسمية الدالة على الثبوت إلى أسلوب "كان" الدالة على المضي، والمحتملة للانقطاع إذا كان الظاهر في المعنى الثبوت الذي تناسبه الجملة الاسمية. قال أبو حيان :"قال أصحابنا: اختلف النحاة في "كان" هذه هل تقتضي الانقطاع أو لا تقتضيه، فأكثرهم على أنّها تقتضي الانقطاع، وأنّك إذا قلت: كان زيد قائمًا، فإنّ قيام زيد كان فيما مضى، وليس الآن بقائم، وهذا هو الصحيح بدليل أنّ العرب إذا تعجبت من صفة هي موجودة في المتعجّب منه في الحال قالت: "ما أحسن زيداً! فإذا تعجبت من الحسن فيما مضى، وهو الآن ليس كذلك، قالت: ما كان أحسن زيداً!"(ابو حيان، د.ت، 211/4). والذي يظهر لي أنّ "كان" هنا تفيد دلالة جديدة، هي دلالة توكيد المعنى، وستظهر هذه الدلالة جليّة من خلال شواهد من القرآن الكريم والشعر العربي الفصيح.

قال تعالى: "إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابًا موقوتًا"، جاءت هذه الآية تدعو إلى الحفاظ على الصلاة متوسطة آيات الجهاد والقتال في سبيل الله، فكأنّها تقول للمؤمنين: عليكم أنْ تحافظوا على هذه الفريضة في جميع أحوالكم وتقلباتكم، ولو كنتم في معترك الحرب، ومقاتلة الأعداء، ولو قال: إنّ الصلاة على المؤمنين كتاب موقوت، لصحّ المعنى، ولكن من أجل دلالة التوكيد جيء بالفعل "كان"، لأن هذا الحكم ثابت وليس مقتصرًا على الزمن الماضي. وهناك لفتة أيضًا من جهة المعنى؛ فالفعل "كان" الذي يحمل دلالة المضي يشير إلى كون الصلاة كتابًا موقوتًا هو شأن قديم كُلّف بها المؤمنون الذين سلفوا، وفرض عليهم، وهذا آتٍ من أهمية هذا الأمر، وهذا فيه دلالة توكيد للفعل.

قال تعالى: "ولا تقربوا الزنا، إنه كان فاحشة وساء سبيلا" (الإسراء، 32)

جاء في التحرير والتنوير:" وجملة إنّه كان فاحشة؛ تعليل للنهي عن ملابسته تعليلًا مبالغاً فيه من جهات؛ بوصفه بالفاحشة الدال على فعلة بالغة حدّها الأقصى في القبح، وبتأكيد ذلك بحرف التوكيد، وبإقحام "كان" المؤذن بأن خبره راسخ مستقر"(ابن عاشور،10،90/1984).

وقال تعالى "وقل جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقاً" (الاسراء، 81)، ويمكن أن يقول: إن الباطل زهوق، ولكنه عدل إلى هذا الأسلوب للتوكيد، وليبين أنّ هذا شأن الباطل مذ أن وجد، وهذه طبيعته وهو أنه زهوق، و"زهوق" مبالغة من "زهق"، وهذا يعزز دلالة التوكيد، ويزيد النفس طمأنينة، والمعنى رسوخًا وتمكينًا.

وهذا الأسلوب يشيع بكثرة في القرآن الكريم كقوله تعالى: "إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا"(الإسراء،53)،

"إن المبذرين كانوا اخوان الشياطين"(سورة الإسراء،26)، "إن الكافرين كانوا لكم عدواً مبيناً"(النساء، 101)، ومثله أيضًا ما يتعلق بصفات الله كقوله تعالى: "وكان الله غفورًا رحيمًا"(النساء، 100)، وما شابههما من هذا الأسلوب، فهي تؤكد صفة الرحمة والمغفرة، وتلفت الأنظار إلى تعقب آثار هذه الصفة في عباده منذ القدم.

المطلب الخامس: توكيد الاسم بالفعل "يكون":

عند النظر في هذا الأسلوب يُرى أنّ الأصل في التركيب اللغوي أن يكون على نسق واحد؛ ثُمّ يُعدل عن هذا النسق إلى أسلوب "يكون" المخبر عنها بالاسم، ومن أهمّ الدلالات التي تنتج عن هذا التعبير فيما أرى هي دلالة التوكيد. ومن شواهد هذا الأسلوب؛ قوله تعالى :"منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين" (الروم، آية 31).

الأصل أن يقول: " واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تشركوا"، ولكنه سبحانه عدل عن هذا الأسلوب بقوله في المعطوف الأخير: ولا تكونوا من المشركين، والسبب بيّن هنا، وهو أنّ الشرك أخطر هذه الأفعال، فهو أعظم من تجنّب التقوى، أو ترك الصلاة؛ لأنّ هذه أفعال قد يغفرها الله، ولا تخرج المسلم من دائرة الايمان؛ أمّا الشرك فلا يمكن تجاوزه، قال تعالى: "إن الله لا يغفر أن يشرك به..." (النساء، 48)؛ لذا كان لا بد من التحذير منه بأسلوب مؤكد حتى يحذره الناس.

وقال تعالى: "قالوا يا موسى إمّا أن تلقي ،وإمّا أن نكون نحن الملقين" (الأعراف، آية 115).

الأصل أن يقولوا: إمّا أن تلقي، وإمّا أن نلقي، ولكن عدل الى أسلوب آخر: وإمّا أن نكون نحن الملقين، توكيدًا لتصميمهم، وعزمهم على الإلقاء، سواء ألقى موسى أم لم يلق لفرط ثقتهم بأنفسهم.

وقد جاء التوكيد بالضمير المنفصل "نحن"، وبتعريف الخبر "الملقين" بالإضافة "للفعل "نكون"، قال الزمخشري: "فيه ما يدل على رغبتهم في أن يلقوا قبله من تأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل، وتعريف الخبر"(الزمخشري، 1407ه،14/2).

وقال تعالى : "...ثم يخرجكم طفلاً، ثم لتبلغوا أشدكم، ثم لتكونوا شيوخًا" (غافر، 67)

إن مرحلة الطفولة، وبلوغ الأشدّ مراحل متجددة ومتغيرة في حياة الإنسان، أمّا المرحلة التي ينتهي عندها الإنسان في هذه الحياة، ويبدأ يشعر فيها بمنزلة الحياة الدنيا وحقارتها فهي مرحلة الشيخوخة التي تتكشف عندها قيمة الحياة الدنيا، ويزول عندها بريق الحياة الذي كان يُغَشّي العيون والقلوب، ويمنعها من رؤية حقيقة هذه الحياة ومقدارها؛ لذا أكد على هذه المرحلة بقوله: ثم تكونوا شيوخًا، حتى نقف عند هذه المرحلة متأمّلين متدبرين لأنّها حَريّة بالتأمّل والتفكّر.

الخاتمة

أهم النتائج التي توصل إليها البحث:

1-ذكر سيبويه "كان" المؤكدة، وهي التي يستقيم الكلام بدونها، وعند إضافتها للجملة ليس لها معنى غير التوكيد.

2- لا علاقة لكان الزائدة بالإعمال وعدمه، فحيثما أمكن الاستغناء عنها مع استقامة المعنى العامّ للعبارة فهي زائدة للتوكيد.

3- تتسع "كان" المؤكدة لتشمل كل تعبير أمكن فيه حذفها دون تغير في معنى الجملة، ولا ينبغي الاقتصار على المواضع التي ذكرها النحاة.

4-تأتي "كان" المؤكدة على صور متعددة، أهمها:

"كان" الماضية مؤكدة للفعل الماضي، ويكون المضارعة المؤكدة للفعل الماضي، ويكون المضارعة مؤكدة للفعل المضارع، وكان الماضية مؤكدة للاسم، ويكون المضارعة مؤكدة للاسم.

المصادروالمراجع

الأزهري، خ(2000)، شرح التصريح على التوضيح، دار الكتب العلمية، بيروت.

الأشموني، ع(1998)، شرح الأشموني الألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية، بيروت.

البخاري، م(1987)، صحيح البخاري، دار ابن كثير، بيروت.

الجعدي، ق(1998)، ديوان النابغة الجعدي، تحقيق: واضح الصمد، دار صادر، بيروت.

ابن الحسن البصري، ع(1999)، الحماسة البصرية، تحقيق: مختار الدين أحمد، عالم الكتب، بيروت.

أبو حيان، م (د.ت)، التذييل والتكميل، تحقيق: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، د.ت.

أبو حيان، م(1420ه)، البحر المحيط، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت.

الخفاجي، ش(د.ت)، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، دار صادر، بيروت، د.ت.

رضي الدين، م(1966)، شرح كافية ابن الحاجب، جامعة الإمام محمد، السعودية.

الزجاج، أ(1988)، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت.

الزمخشري، م(1407ه)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت.

أبو زيد القرشي، م (د.ت)، جمهرة أشعار العرب، تحقيق: على محمد البجادي، نهضة مصر للطباعة والنشر، د.ت.

ابن السراج، م(1988)، الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت.

سيبويه، ع(1988)، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة.

السيرافي، ح(2008)، شرح كتاب سيبويه، تحقيق: أحمد حسن مهدلي، دار الكتب العلمية، بيروت.

السيوطي، ع(1988)، معترك الأقران في إعجاز القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت.

السيوطي، ع(د.ت)، همع الهوامع، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر.

الضبي، م(د.ت)، المفضليات، تحقيق: أحمد شاكر، عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر.

ابن عاشور، م(1984)، التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس.

ابن عصفور، ع(1988)، شرح جمل الزجاجي، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن عقيل، ع(1980)، شرح ابن عقيل، المحقق: محمد محيي الدين، دار التراث، القاهرة.

الفرزدق، ه(1984)، ديوان الفرزدق، تحقيق: على فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن قتيبة، ع(1982)، الشعر والشعراء، دار الحديث، القاهرة.

القرطبي، م(1964)، الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت.
ابن ربيعة، ل(2004)، ديوان لبيد، دار صادر، بيروت.
المبرد، م(1999)، المقتضب، وزارة الأوقاف المصرية، القاهرة.
ابن هشام، ع(1964) مغني اللبيب، تحقيق: مازن المبارك، محمد علي، دار الفكر، بيروت.

References

Al-Azhari, K. (2000). Sharh Al-Tasreeh Ala Al-Tawdeeh. Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah, Beirut.
Ibn Hisham, A. (1964). Mughni Al-Labib. Edited by Mazen Al-Mubarak and Muhammad Ali. Dar Al-Fikr, Beirut.
Ibn Al-Sarraj, M. (1988). Al-Asul fi Al-Nahw. Edited by Abdul Hussein Al-Fatli. Al-Resalah Foundation, Beirut.